

بسم الله الرحمن الرحيم
الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات السبعة

عزة عبد الرحيم محمد سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن أحبه واتبع هديه، وبعد:-

أعرض في هذا البحث إجابة لسؤال يرد لمعلم القراءات ومتعلمها هو علاقة القراءات القرآنية التي نقرأ بها اليوم بالأحرف السبعة، والجواب باختصار كما ذهب إليه أئمة السلف وأكثر العلماء أن القراءات التي نقرأ بها اليوم هي جزء من الأحرف السبعة، فالمصاحف العثمانية لم تشتمل على جميع الأحرف السبعة، وإنما اشتملت على جزء منها، وهو ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي - صلى الله عليه وسلم - على جبريل - عليه السلام - متضمنة لها لم تترك حرفاً منها. وإليك تفصيل هذا:

تواترت الأحاديث بنزول القرآن على سبعة أحرف فقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) (٢).

وروى مسلم بسنده عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ - عليه السلام - فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنْ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنْ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنْ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَأَيُّهَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا (٣).

^١ مستخرج من كتاب تسهيل الشاطبية، (القاهرة، مفكرون للنشر الدولي، ٢٠٢٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح رقم (٤٧٠٥)، (بيروت، دار ابن كثير، اليمامة،

١٩٨٧/١٤٠٧، ج ٤، ص ١٩٠٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ح (٨٢١/٢٧٤)، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج ١، ص ٥٦٢. و "الإضاءة" هي الماء المستنقع كالغدير.

معنى الأحرف السبعة:

أقوال العلماء في معنى الحرف كثيرة، فقد (اختلفَ في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً)^(١)، وبعضهم يرى أنه من المشكل الذي لا يدري معناه.

ومن خلال استعراض هذه الأقوال والتدبر فيها وجدتُ أن الجدير بالذكر منها ثلاثة أقوال.

القول الأول: أن الأحرف السبعة هي وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف.

ذهب إلى هذا القول الإمام الرازي، وابن قتيبة، وابن الجزري، وغيرهم، وقد اعتمد هذا القول على استقرار اختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة، قال ابن الجزري: (تَبَعْتُ الْقِرَاءَاتِ صَحِيحَهَا وَشَاذَهَا وَضَعِيفَهَا وَمُنْكَرَهَا، فَإِذَا هُوَ يَرْجِعُ اخْتِلَافُهَا إِلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ لَا يَخْرُجُ عَنْهَا.... ثُمَّ رَأَيْتُ الْإِمَامَ الْكَبِيرَ أَبَا الْفَضْلِ الرَّازِيَّ حَاوَلَ مَا ذَكَرْتُهُ.... ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى كَلَامِ ابْنِ قُتَيْبَةَ وَقَدْ حَاوَلَ مَا حَاوَلْنَا بِنَحْوِ آخَرٍ...) وقد اختلف هؤلاء الأئمة اختلافاً يسيراً في تحديد وجوه التغاير، نتيجة لاختلافهم في طرق التتبع والاستقصاء والتعبير والأداء، وهذه الوجوه السبعة كما عبر عنها الإمام الرازي:^٢
الأول: اختلاف الأسماء بالافراد والتثنية والجمع، والتأنيث والتذكير.

مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢] قرئ (لأماناتهم) بالجمع، وقرئ (لأمانتهم) بالافراد.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر.

مثل قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] قرئ ﴿رَبَّنَا بَعِدْ﴾ وقرئ (رَبَّنَا بَعْدَ) وقرئ (رَبَّنَا بَاعَدَ) بصيغة الماضي.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب.

كقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، قرأ الجمهور بالنصب، على أن (ما) عاملة عمل (ليس) وهي

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٤/١٣٩٤)، ج ١، ص ١٦٤.

(٢) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، (المطبعة التجارية الكبرى، دت)، ج ١، ص ٢٦، ٢٧.

(٣) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٧.

لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن، وقرأ ابن مسعود: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ بالرفع، على لغة بني تميم، فإنهم لا يعملون (ما) عمل (ليس).

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

مثل قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قُرئ هكذا بإثبات الواو قبل السين (وسارعوا) وقُرئ بحذفها (سارعوا).

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

مثل قوله تعالى ﴿فَيَقْنُتُونَ وَيُقْنَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] قُرئ الفعل الأول مبنياً للمعلوم، والثاني مبنياً للمجهول، وقُرئ بالعكس، الأول مبني للمجهول، والثاني مبني للمعلوم، والقراءتان متواترتان.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قُرئ بالزاي، وقُرئ بالراء المهملة (نُنْشِرُهَا).

السابع: اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل، والإشمام ونحو ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩] قُرئت بالفتح والإمالة في (أتى)، وفي (موسى)، وترقيق الراء في قوله: ﴿خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧] وتفخيم اللام في ﴿الطَّلَقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧] وتسهيل الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: ١].

ومن رجع هذا القول محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) ورد عن الشبهات التي ترد عليه^(١)، ورجحه كذلك الدكتور محمد بكر إسماعيل في كتابه (دراسات في علوم القرآن)^(٢) ورجحه كذلك علماء الأزهر وهو المعتمد في دراستهم .

واعترض على هذا الرأي بأن الرخصة في التيسير على الأمة بناء على هذا الرأي غير واضحة، فأين الرخصة في إبدال حركة بأخرى، أو حرف بآخر وأين هي في قراءة الفعل مبنياً للمعلوم أو مبنياً للمجهول، أو في تقديم وتأخير؟! فإن القراءة على وجه من هذه الوجوه المذكورة لا يوجب مشقة تحتاج

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة)، ج ١، ص ١٥٥.

(٢) محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، (دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، ص ٨٣.

إلى سؤال النبي - صلى الله عليه وسلم- ربه المعافاة لأن الأمة لا تطيق القراءة على وجه واحد أو اثنين أو ثلاثة.

ويمكن الرد عن هذا الاعتراض بأن سبب نزول القرآن على سبعة أحرف الذي التَّخْفِيفِ على هذه الأمة وإرادة اليسر لها يظهر جلياً في الوجه السابع من وجوه التغيرات السبعة التي وقع فيها الاختلاف، وهو اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل، والإشمام ونحو ذلك، فالعرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، فَلَوْ كُتِبُوا العدول عن لغتهم لكان التكليف بما لا يستطيع، وأما الاختلاف في تصريف الأفعال، والتقديم والتأخير، والزيادة والنقص..... فإنها وإن لم يظهر فيها التخفيف إلا أنها نزلت من عند الله هكذا لتدل كل قراءة على معنى أو حكم مغاير للأخرى، وأراد الله المعنيين أو الحكمين مثل قوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة: ١٢٥ قرئت بكسر الخاء على الأمر وبفتحتها على الخبر) لأن المراد بالقراءتين جميعاً هم المسلمون، وذلك أن الله تعالى أمرهم باتخاذهم مقام إبراهيم مصلى، فلما امتثلوا ذلك وفعلوه، أخبر به عنهم، فجاءت القراءة بالأمرين جميعاً للدلالة على اجتماعهما لهم فهما صحيحان غير متضادين ولا متنافيين^٩ ومثل قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ﴾ الغَيْبِ بِضْنَيْنِ ﴿التكوير: ٢٤﴾ قرئت بالطاء، وبالضاد (لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هو النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك أنه كان غير "ظنين" على الغيب أي غير متهم فيما أخبر به عن الله تعالى، وغير "ضنين" به أي غير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه، فقد انتفى عنه الأمران جميعاً، فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين)^{١٠}

ومثل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرَنَّ﴾ البقرة: ٢٢٢ قرئت بالتخفيف (يَظْهَرَنَّ) وقرئت بالتشديد (يَظْهَرَنَّ) وأراد الله الحكمين، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال^{١١}

^٩ أبو عمرو الداني، الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق: د عبد المهيمن طحان، (مكة المكرمة، مكتبة المنارة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨)، ص ٤٩.

^{١٠} أبو عمرو الداني، الأحرف السبعة للقرآن، مرجع سابق، ص ٤٩.

^{١١} شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٩.

القول الثاني: (ذَهَبَ جَمَاعَةٌ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأَحْرَفِ لَهْجَاتُ الْعَرَبِ فِي كَيْفِيَّاتِ النُّطْقِ كَالْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ، وَالْمَدِّ وَالْقَصْرِ، وَالْهَمْزِ وَالْتَّخْفِيفِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ رُخْصَةٌ لِلْعَرَبِ مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ)^(١). ذكره الطاهر بن عاشور في مقدمة التفسير ورجحه وقال: (وَهَذَا أَحْسَنُ الْأَجَوِبَةِ لِمَنْ تَقَدَّمَنا)^(٢).

وقد اقتصر هذا القول على الوجه السابع من أوجه التغيرات السابقة، ويعترض على هذا القول بأنه إذا كانت القراءات التي نقرأ بها اليوم هي جزء من الأحرف السبعة كما ذهب إلى ذلك أئمة السلف وأكثر العلماء، فكيف تُوجَّه القراءات التي فيها إبدال حركة بأخرى، أو حرف بآخر أو فيها تقديم وتأخير، أو فعل مبني للمعلوم وآخر مبني لما لم يسمى فاعله إذا اقتصر معنى الأحرف السبعة على لهجات العرب، وذلك كله ليس من اللهجات!!

يترتب على هذا القول أن يكون بعض القراءات التي نقرأ بها خارج الأحرف السبعة، ولم يقل بذلك أحد.

القول الثالث: المراد بالأحرف السبعة لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليّ، وقصدي، ونحوي، وقربي ونحو ذلك، وإليه ذهب عدد من العلماء على رأسهم الإمام ابن جرير الطبري^(٤) ونسبه القرطبي^(٥) وابن كثير^(٦) لأكثر العلماء.

^(٢) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م)، ج ١، ص ٥٨.

^(٣) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٥٨.

^(٤) الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠)، ج ١، ص ٥٧-٥٨. وقد نفى الدكتور حسن ضياء الدين عتر صحة نسبة هذا القول للإمام الطبري، ففي ص ٢٠٧ من كتاب (فنون الألفاظ) لابن الجوزي. ذكر (المحقق) الدكتور حسن ضياء الدين عتر في الهامش الثاني بأن الطبري لا يصح أن ينسب إليه القول بأن الأحرف السبعة سبع لغات في ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، وأشار إلى أنه (حسن ضياء) قد وافق الزركشي في كتابه (البرهان). وبالرجوع لما خطه الطبري في المصدر المشار إليه وقراءة جميع ما كتب ابن جرير في المسألة وجدت الأمر على خلاف ما ذكر الدكتور حسن ضياء!! وكذا رجعت لما كتب الزركشي في البرهان ووجدت الأمر على خلاف ما ذكر الدكتور حسن عتر!!!.

^(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، (الرياض، دار عالم الكتب، طبعة ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م)، ج ١، ص ٤٢.

^(٦) (أبو الفداء) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م)، ج ١، ص ٤٥.

واستدلوا بها جاء في حديث أبي بكرة: جاء جبريل -عليه السلام- إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : « اقرأ على حرف » ، قال : فقال ميكائيل : « استزده » ، فقال : « اقرأ على حرفين » ، فقال ميكائيل : « استزده » ، حتى بلغ إلى سبعة أحرف ، فقال : « اقرأه » ، فكل كافٍ شاف ، إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة ، على نحو : هلم وتعال ، وأقبل واذهب ، وأسرع وعجل »^(٧)

وأصحاب هذا الرأي يرون أن عثمان حين جمع المصحف جمعه على حرف واحد دون الأحرف الستة الباقية ، بسبب الاختلافات التي حدثت بين الناس في القراءة ، قال الطبري : (فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها ، طاعةً منها له ، ونظرًا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درّست من الأمة معرفتها ، وتعتفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها ، لدثورها وعُفُو آثارها ، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها ، من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها ولكن نظرًا منها لأنفسها ولسائر أهل دينها . فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيقُ الناصحُ ، دون ما عدها من الأحرف الستة الباقية)^(٨)

واعترض على هذا الرأي بأنه يترتب عليه أن يكون عثمان -رضي الله عنه- قد نسخ الأحرف الستة التي توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهي مما يقرأ بها ، وقد أورد الإمام الطبري هذا الاعتراض وأجاب عنه بقوله : (لم تنسخ الأحرف الستة فترفع ، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها ، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن ، وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت ، كما أمرت إذا هي حثت في يمين وهي مؤسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت : إما بعق ، أو إطعام ، أو كسوة ، فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر كانت مُصيبةً حكم الله ، مؤديةً في ذلك الواجب عليها من حق الله ، فكذاك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته ، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت ، فرأت لعة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية)^(٩)

واعترض كذلك بأن الكلمة التي يوجد لها سبع مترادفات في القرآن نادرة ، فلا يتأتى التيسير الذي من أجله أنزل القرآن على سبعة أحرف .

^(٧) (أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، مشكل الآثار، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ)، ج ٧، ص ١٣٥ .

^(٨) (الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٦٤ .

^(٩) (الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٥٨ - ٥٩ .

ورجح هذا الرأي محمد أبو شهبه في كتابه (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ورد عنه الشبهات التي وردت عليه^(١) كما رجحه مناع القطان في كتابيه (مباحث في علوم القرآن) و(نزول القرآن على سبعة أحرف)^(٢) ورجحه د. محمد عبد العزيز الخضير في المحاضرة السادسة عشر للأكاديمية الإسلامية المفتوحة.

القراءات السبعة غير الأحرف السبعة:

القراءات السبعة غير الأحرف السبعة باتفاق العلماء، قال ابن تيمية (لا نزاع بين العلماء المعبرين أن (الأحرف السبعة) التي ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد)^(٣).

جمع القرآن:

جُمِعَ (كتب ودون) القرآن الكريم ثلاث مرات:

الجمع الأول: في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

الجمع الثاني: في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الجمع الثالث: في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أولاً: الجمع الأول في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

اتخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - كتاباً أشهرهم: زيد بن ثابت وأبي بن كعب، فكان إذا نزل عليه شيء من الوحي دعا بعض من يكتب له، ويقول له: ضع هذه الآية أو الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، فإذا انتهى من كتابتها أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - كاتبه بقراءتها عليه، فإن كان فيه سقط أقامه، فقد روي عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

^(١) محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م)، ص ١٧٨.

^(٢) انظر مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، ص ١٦٢، ونزول على سبعة أحرف، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م)، ص ٧٢.

^(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ج ١٣، ص ٣٩٠.

وكان يشتد نفسه ويعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم يسري عنه، فأكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى يثقل، فإذا فرغت قال: اقرأ فأقرؤه فإن كان فيه سقط أقامه. (٢٢)

وكانوا يكتبون على جريد النخل والرقاع والعصب، ولم يكن مجموعاً في مصحف واحد، بل كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف وغيرها. كما قال زيد بن ثابت -رضي الله عنه- «قبض النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يكن القرآن جمع في شيء» (٢٣)

ولم يجمع الرسول -صلى الله عليه وسلم- القرآن في مصحف واحد لأسباب منها :
- الأمن من وقوع خلاف بين الصحابة لوجوده -صلى الله عليه وسلم- بين أظهرهم.
- وأن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل نزل منجماً.
- ولما كان يترقبه -صلى الله عليه وسلم- من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته.
ثم أهتم الله خلفائه من بعده بجمع القرآن فكان الجمع في عهد الصديق رضي الله عنه.

الجمع الثاني: في عهد أبي بكر :

سببه: لما انتقل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى ارتدت العرب، فقاتلهم الصديق أبو بكر، وشارك في حروب الردة كثير من القراء، ومات الكثير منهم في معركة (اليمامة) فخاف الصحابة من ضياع القرآن، فذهب عمر إلى الصديق أبي بكر وأشار عليه بجمع القرآن، لم يوافق أبو بكر في أول الأمر فما زال به عمر حتى شرح الله صدره لجمع القرآن.

وأمر خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبو بكر الصديق رضي الله عنه زيد بن ثابت فتولى زيد جمع القرآن.

روي عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قال: أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه- إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ

(٢٣) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل، مكتبة العلوم والحكم، طبعة ١٤٠٤ - ١٩٨٣)، ج ٥، ص ١٤٢، والمعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥) ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢٤) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩)، ج ٩، ص ١٢.

لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا تَنْتَهِمُكَ وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ -رضي الله عنهما- فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللَّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [التوبة: ١٢٨] حَتَّى خَاتَمَتْ بَرَاءَةً، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتِهِ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " 25)

وكان منهج زيد -رضي الله عنه- في جمع القرآن أنه لا يكتب شيئاً من القرآن حتى يشهد عليه شاهدان فقد روي (أن أبا بكر قال لعمر ولزيد اقعدا على باب المسجد فممن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه)^(٢٦) والمراد بالشهادة أن يشهد أنه كتب بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو أنه من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن، أو أن ذلك مما ثبت في العريضة الأخيرة ولم ينسخ، وكان غرضهم أن لا يكتب شيئاً إلا من عين ما كتب بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا من مجرد الحفظ^(٢٧) وافتقد زيد آيتين من آخر سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، وآية في سورة الأحزاب: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ [الأحزاب: ٢٣].

روي عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: نَسَخْتُ الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ فَفَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقْرَأُ بِهَا فَلَمْ أَجِدْهَا إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ

(٢٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، مرجع سابق، ح رقم ٤٧٠١، ج ٤، ص ١٩٠٧.

(٢٧) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٩، ص ١٤.

(٢٨) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٩، ص ١٥.

الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- شَهَادَتَهُ شَهَادَةً رَجُلَيْنِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٢٠).

والذي يرجحه الحافظ ابن حجر أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة غير الذي وجد عنده آية الأحزاب، وأن الذي وجد عنده آخر التوبة هو أبو خزيمة الحارث بن خزيمة - بالكنية - وقد أثبتها زيد في المصحف لأن عمر شهد معه، فقد روي عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووعيتهما فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما) وأن الذي وجد معه آية الأحزاب خزيمة من غير كنية (خزيمة بن ثابت) ذو الشهادتين فكتبها زيد في المصحف لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- جعل شهادته بشهادة رجلين.^(٢١) وهكذا تميز جمع أبي بكر للقرءان بغاية الدقة والإتقان.

الجمع الثالث: في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أسباب جمع عثمان -رضي الله عنه- للقرءان :

1- الخلاف الذي حدث بين الناس في القراءة بسبب تفرق الصحابة في البلدان (فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ القرآن على سبعة أحرف، إلا أن الصحابة لم يتلقوا هذه الأحرف جميعها، فمنهم من أخذ بحرف، ومنهم من أخذ بحرفين، ومنهم من زاد على ذلك، فلما تفرقوا في البلاد أخذ التابعون عنهم حسبما أخذوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك اختلف الناقلون للقراءات فمنهم من نقل قراءة معينة ومنهم من لم ينقلها)^(٢٢)، ومن هنا كان الخلاف واشتد الأمر في ذلك وخشيت الفتنة (فقد روي عن أنس بن مالك قال: اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عني كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً، يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً، فاجتمعوا فكتبوا فكانوا إذا اختلفوا وتدارؤوا في آية، قالوا هذه أقرأها رسول الله فلائناً، فيرسل إليه

^(٢٨) (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)، ح قم ٢٦٥٢، ج ٣، ص ١٠٣٣.

^(٢٩) (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٩، ص ١٥.

^(٣٠) (شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، (دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية)، ص ١٥.

وهو على رأس ثلاث من المدينة فقال له كيف أقرأك رسول الله آية كذا وكذا ، فيقول كذا وكذا فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكانا)(٣٠).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُعَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينَةَ وَأَذْرَبِجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْنَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكُ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ تَرَدُّهَا إِلَيْكَ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَفْقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ (٣١).

2- أن بعض الصحابة -رضي الله عنهم- (كانوا يكتبون لأنفسهم مصاحف مشتملة على الأحرف السبعة جميعها، وفيها بعض الأحرف التي نسخت بالعرضة الأخيرة، ولم يطلعوا على النسخ كما أنها كانت تشتمل على الألفاظ التي كانت من قبيل التفسير من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فظلوا يحتفظون بهذه المصاحف لأنفسهم، مع مخالفتها لما جمعه أبو بكر الصديق)(٣٢).

لذا جمع عثمان القرآن، وكان اعتماد عثمان في الجمع على النسخة التي كتبها أبو بكر فقد سبق في الحديث: «فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف».

وكان عثمان يشرف على الجمع بنفسه فقد روي أن عثمان قال لزيد: «إني مدخلٌ معك رجلاً ليبيّاً فصيحاً، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إليّ. فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص، قال: فلما

(٣١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح مشكل الآثار، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م)، ج ٨،

ص ١٣٢.

(٣٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، مرجع سابق، ح (٤٧٠٢)، ج ٤، ص ١٩٠٨.

(٣٣) شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، مرجع سابق، ص ١٧-١٨.

بلغنا ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [البقرة: 248] قال: زيد فقلت: «التابوه» وقال أبان بن سعيد: «التابوت»، فرفعنا ذلك إلى عثمان فكتب: «التابوت»^(٢٤).

الأحرف السبعة وجمع القرآن:

أولاً: عند تدوينه في العهد النبوي:

اشتملت كتابة القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- على رخصة الأحرف السبعة.

قال أبو عمر الداني (وأن أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- ومن بالحضرة من جميع الصحابة قد أثبتوا جميع تلك الأحرف في المصاحف وأخبروا بصحتها وأعلموا بصوابها وخيروا الناس فيها كما كان صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٢٥).

وقال الزرقاني في كتابه مناهل (العرفان في علوم القرآن): (وصفوة المقال أن القرآن كان مكتوباً كله على عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكانت كتابته ملحوظاً فيها أن تشمل الأحرف السبعة التي نزل عليها)^(٢٦).

وقال أبو شهبه في كتابه (المدخل لدراسة القرآن الكريم): (وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهد النبي -

صلى الله عليه وسلم- وإن كان مفزاً، وكانت كتابته على الأحرف السبعة التي نزل بها)^(٢٧).

وسبق أن المراد بالشهادة في قول أبي بكر لعمر ولزيد (اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه) أن يشهد أنه كتب بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو أنه من الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن.

فدل ذلك على أن كتابة القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان مشتملاً على الأحرف السبعة.

وخالف هؤلاء الأئمة الدكتور غانم قدوري الحمد، إذ ذكر أن كتابة القرآن في العهد النبوي كانت خالية من الأحرف السبعة حيث قال (وليس هناك ما يشير إلى دخول شيء من وجوه القراءة التي جاءت بها رخصة الأحرف السبعة في كتابة القرآن في هذه المرحلة). ثم استشهد بقول أبي زهرة حيث قال:

^(٢٤) الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٦٠.

^(٢٥) أبو عمرو الداني، الأحرف السبعة للقرآن، مرجع سابق، ص ٦٠.

^(٢٦) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٤٨.

^(٢٧) محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

(..وصرح الشيخ محمد أبو زهرة إن كتابة القرآن في هذه المرحلة لم يدخلها شيء من رخصة الأحرف السبعة، وذلك في قوله [والكلام للدكتور غانم قدوري ينقل عن أبي زهرة]: «إن الذي كتب في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يعثره تغيير، ولم تجر عليه الحروف السبعة، وإن الحروف السبعة كانت في قراءة القرآن لا في كتابته»^(٣٨). واستدل الدكتور غانم عقلي ويعتمد على أبي زهرة، وهو معاصر يخالف من ذكرت من السلف والخلف.

ثانياً: عند تدوينه في عهد الصديق أبي بكر:

أما الجمع في خلافة أبي بكر الصديق فجمهور أهل العلم على أنه كان مشتملاً على الأحرف السبعة قال أبو عمرو الداني (الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن أبا بكر - رضي الله عنه - قصد في جمع القرآن إلى تثبيته بين اللوحين فقط ورسم جميعه، وأن عثمان - رحمه الله تعالى - أحسن وأصاب ووفق لفضل عظيم في جميع الناس على مصحف واحد وقراءات محصورة والمنع من غير ذلك)^(٣٩) قال أبو شهبه في كتابه (المدخل لدراسة القرآن الكريم): (وقد امتاز الجمع في عهد أبي بكر بما يلي... أنه كان مكتوباً بجميع الأحرف السبعة الذي نزل بها القرآن)^(٤٠).

وحكى اتفاق العلماء على جمع أبي بكر الصديق القرآن بالأحرف السبعة عدد من العلماء منهم محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) حيث قال (المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه كان مجموعها مشتملاً على الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن.... ويؤيده هنا أن هذه المصاحف نسخت من المصحف التي جمعت على عهد أبي بكر وكانت عند حفصة. ومن المتفق عليه أن هذه المصحف كتب فيها القرآن بحروفه السبعة التي نزل عليها)^(٤١).

ورأى الدكتور غانم الحمد خلو المصحف من أي أثر لرخصة الأحرف السبعة، ودلل على ذلك بأنها (منقولة من الرقاع التي كتبت عليها زيد بن ثابت القرآن في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - والتي كتبت على لغة قريش المنزل عليها القرآن، والسياق التاريخي يدل على ذلك، لأن جمع تلك الوجوه في

(٣٨) اللقاء العلمي للشبكة مع أ.د. غانم قدوري الحمد - ١٤٢٦هـ، ص ٤٠.

(٣٩) عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، الأحرف السبعة للقرآن، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٤٠) محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٤١) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٩٩.

الكتابة أمر بالغ الصعوبة والتعقيد، وأنه لا ضرورة تدعو إلى تجشم عناء تلك المهمة، ما دام اللفظ المنزل للقرآن محفوظاً).^(٢)

ودليل الدكتور عقلي، ومخالف لما روي عن سلفنا الصالح وعن علماء الخلف. وعقلاً لا يمنع كتابة الأحرف في الصحف.. لا مانع أن تكون الصحف المكتوبة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت بأكثر من حرف، وهو السياق التاريخي المروي. وقد مرَّ شيء من ذلك.

ثالثاً: تدوينه في عهد عثمان - رضي الله عنه -:

اختلف العلماء حول اشتغال المصاحف العثمانية للأحرف السبعة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المصاحف العثمانية لا تشتمل إلا على حرف واحد هو حرف قريش ذهب إلى هذا الرأي عدد من العلماء على رأسهم الإمام الطبري، واستدلوا بقول عثمان - رضي الله عنه - للقرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنها نزل بلسانهم) كما استدلوا بأن الأمر بالقراءة على الأحرف السبعة لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة، وقد جعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف اجتمعوا على حرف واحد.^(٣) وقاسوه على كفارة اليمين، وقالوا إن الأمة (أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت. كما أمرت، إذا هي حشئت في يمين وهي مؤسرة، أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت: إما بعق، أو إطعام، أو كسوة. فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث، دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر، كانت مُصيبةً حكم الله، مؤديةً في ذلك الواجب عليها من حق الله. فكذلك الأمة، أمرت بحفظ القرآن وقراءته، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت: فرأت لعله من العلل أوجب عليها الثبات على حرف واحد - قراءته بحرف واحد، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية)^(٤).

ورأى أصحاب هذا الرأي أن القراءات التي يقرأ بها الناس اليوم كلها ترجع إلى حرف واحد هو الباقي من الأحرف السبعة قال الطبري في تفسيره: (فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية).^(٥) والتعدد في القراءات إنما يرجع

٢) اللقاء العلمي للشبكة مع أ.د. غانم قدوري الحمد - ١٤٢٦ هـ.

٣) الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٦٤.

٤) الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٥٨ - ٥٩.

٥) الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٦٤.

إلى أحرف أخرى سمح بظهورها رسم المصحف على حرف قريش مما ثبت من القراءات القرآنية على الأحرف الأخرى التي تتفق معه في الرسم، فالنسخ العثمانية لم تكن مُنقطعةً ولا مُشكَّلةً، فاحتمل الأمر قراءة ذلك الحرف على أكثر من وجه وفق ما يحتمله اللفظ كقراءة (فتبينوا) (فتثبتوا)، فجاء القراء وكانوا قد تلقوا القرآن ممن سبقوهم، واختار كل واحد منهم قراءة حسب ما تلقاه ووصل إليه، وصارت القراءات التي تخالف رسم المصحف العثماني تسمى قراءات شاذة.

القول الثاني: أن المصاحف العثمانية كانت مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وذهب إلى هذا القول جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين، واحتجوا بأنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء منها وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك^(٦) وبأنه لم يرد خبر صحيح ولا ضعيف عن عثمان بأنه أمر بإلغاء بقية الأحرف، وأما قول عثمان - رضي الله عنه - للقرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم) فهذا صريح أنه عند الاختلاف، وأما عند الاتفاق فلهم أن يكتبوه بالأوجه التي رخص بها، وبأن الاختلافات الموجودة في المصاحف العثمانية دليل على وجود الأحرف السبعة فيها.

القول الثالث: ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي - صلى الله عليه وسلم - على جبريل - عليه السلام - متضمنة لها لم تترك حرفاً منها. وذلك لأن القرآن نُسخَ مِنْهُ وَغُيِّرَ فِيهِ في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن لم ينسخ، وتركوا ما سوى ذلك. قال ابن الجزري: وهذا القول هو الذي يظهر صوابه، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له^(٧)

وعلى هذا القول فالباقي من الأحرف السبعة هو جزء منها وهو ما يحتمله رسم المصحف شاملاً العرضة الأخيرة لا يترك منها حرفاً، وعلى القول الثاني جميعها، وعلى القول الأول الباقي منها حرف واحد.

وأما كيفية اشتغال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة فهو كالتالي^(٨):

^(٦) (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٦، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٣١، والعبارة في الكتابين متشابهة جداً).

^(٧) (شمس الدين أبو محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٣١).

^(٨) (شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، مرجع سابق، ص ٢٧ - ٣٤).

١- القراءات المتفقة في الرسم كتبت على رسم واحد في جميع المصاحف يحتمل القرائتين تحقيقاً أو تقديرًا مثل قوله تعالى: (ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير...) فقوله تعالى: (كبير) قرأت بالباء كبير، وقرئت بالثاء (كثير) والرسم يحتملها تحقيقًا.

ومثل قوله تعالى: (ملك يوم الدين) كتبت في المصحف بدون ألف، وقرأت (مالك) بالمد وقرأت (ملك) من غير مد، فهذه القراءة الثانية موافقة لرسم المصحف تحقيقًا، وأما القراءة بالمد موافقة لرسم المصحف تقديرًا.

٢- القراءات المختلفة في الرسم وزعت على المصاحف العثمانية مثل قوله تعالى: (ووصى بها إبراهيم بنيه) قرأت (وأوصى) فكتبت في بعض المصاحف (ووصى) وكتبت في بعضها (وأوصى) ومثل قول الله: (وسارعوا) قرئت بالواو (وسارعوا) وقرئت من غير واو (سارعوا) فرسمت في بعض المصاحف بالواو وفي بعض المصاحف من غير واو.

٣- وبعض الكلمات فيها قراءتان مختلفتان في الرسم وكتبت في المصحف على إحداها مثل كلمة الصراط رسمت بالصاد مع أن أصلها السين، فتقرأ بالصاد تبعاً للرسم كما تقرأ بالسين تبعاً لأصل الكلمة.

وقد انتقل القرآن من الصحابة إلى التابعين ولمن بعدهم، وظهر من هؤلاء جماعة أمضوا حياتهم في خدمة كتاب الله قراءة وإقراء، واعتنوا بضبط ألفاظه، وتحرير قراءاته، وتحقيق رواياته حتى صاروا أئمة يقتدي بهم ويرحل إليهم، ونسبت القراءة إليهم، ومن هؤلاء القراء العشرة أصحاب القراءات التي يقرأ الناس بها إلى اليوم، وهي (القراءات) محصورة في ثلاث كتب:

الأول: منظومة (حز الأمانى ووجه التهاني) في القراءات السبع المعروفة بالشاطبية للإمام القاسم بن فيره الأندلسي الإمام الشاطبي وهي مجال دراستنا في هذا الكتاب وقد ذكر فيها الإمام الشاطبي سبع قراءات كل قراءة لها روايتان هم:

١- نافع المدني وراويه قالون وورش.

٢- ابن كثير المكي وراويه البزي وقنبل

٣- أبو عمرو البصري وراويه حفص الدوري والسوسي.

٤- ابن عامر الشامي وراويه هشام وابن ذكوان.

٥- عاصم الكوفي وراويه حفص وشعبة.

٦- حمزة الكوفي وراوياه خلف وخلاد.

٧- الكسائي الكوفي وراوياه أبو الحارث وحفص الدوري.

الثاني: منظومة (الدرة المضية في القراءات الثلاثة المرضية) لابن الجزري ذكر فيها ثلاث قراءات كل قراءة لها روايتان هم:

١- أبو جعفر المدني وراوياه ابن وردان وابن جمار.

٢- يعقوب الحضرمي وراوياه رويس وروح.

٣- خلف العاشر وراوياه إسحاق وإدريس.

إذاً عدد القراءات في الشاطبية والدرة عشرة قراءات بعشرين رواية.

الثالث: كتاب (النشر في القراءات العشر) لابن الجزري قام بنظم القراءات العشر في ألفية سماها (طيبة النشر في القراءات العشر).